الفاصلة القرآنية في آيات السنن الكونية دراسة حجاجية

The Qur’anic comma in the universal verses of the Sunnah, a pilgrim study

إعداد:

سها علي عواد عباس

Suha Ali Awad

بإشراف:

ا.د مسلم مالك الأسدي

prof. Dr. Muslem Malik Al-Asadi

جامعة كربلاء - كلية العلوم الإسلامية

Karbala University - College of Islamic Sciences

الكلمات المفتاحية: الفاصلة. القرآن. السنن الكونية. الحجاج.

Keywords: comma. The Quran. Cosmic Sunna. Argumentation

الملخص

تعرف الفاصلة القرآنية بأنها تلك النهايات التي تذيل الآيات القرآنية، و كان ورودها في القرآن الكريم؛ لغرض يحتمه السياق، و تقتضيه الحكمة، و ماهي إلا عبارة عن صور تامة الأبعاد التي تنتهي بها جمل القرآن الكريم صوتياً و هي متفقة مع آياتها في إقرار الصوت الذي يلائم نوع الصوت المقابل له والوجه الذي يساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب، و تعد الفاصلة القرآنية ركناً اساسياً في تكوين البنية الإيقاعية للقرآن الكريم؛ وذلك لما لها من دور إيقاعي في نهاية الآي لهذا الإيقاع المتعدد الأبعاد و الذي يتكون من تشاكل الأصواتو تجانسها تماثلاً أو تقارباً يهدف إلى احداث تأثير في المتلقي، و للفاصلة أهمية كبيرة في النص القرآني عن طريق أثرها في الإعجاز القرآني ؛ بسبب تنوع وظائفها إذ لو حذفت من النص القرآني لأختل معنى الآية ؛ لهذا حققت الفاصلة الحجاج و كل هذا يتحصل عن طريق متابعة أثرها في تلك الآيات و ما قدمته من آثار حجاجية انسابت مع جمالها الصوتي، الذي يتوافق مع الغرض الذي تنشده الآية فمرة تتسم بالهدوء و اللين من أجل جعل المتلقي متشرباً فيها متعقلاً بالصورة الكونية، التي رسمت أمامه فينشئ متعجباً مؤمناً بالقدرة الربانية العظيمة، أو تكون ذات إيقاع سريع مزلزل متوافق مع الموقف متحدًّ للمعاند له ؛ فتظهر قدرة الباري عز وجل التامة في التكوين والإنشاء والعقاب.

Abstract Abstract

The Qur’anic comma is defined as those endings that trace the Qur’anic verses, and they were mentioned in the Noble Qur’an. For a purpose necessitated by the context, and required by wisdom, it is nothing but complete images of dimensions that end in the phrases of the musician and are consistent with its verses in the approval of the sound that fits the type of voice and the face that is driven by what is not behind it in the wonder of doctrine, and the Qu Qur’anic comma is a basic pillar In the composition of the rhythmic structure of the Holy Quran; This is due to its rhythmic role at the end of the verse of this multi-dimensional rhythm, which consists of the homology of sounds and their homogeneity in symmetry or convergence aiming to have an effect on the recipient, and the comma is of great importance in the Qur’an text through its effect on the Qur’anic miracle. Because of the diversity of its functions, if it were omitted from the Qur’anic text, the meaning of the verse would be distorted. This is why the comma has achieved the pilgrims, and all this is achieved by following its impact on those verses and the pilgrim effects it presented that flowed with its phonological beauty, which corresponds to the purpose pursued by the verse. In front of him, he will grow up wondering, believing in the great divine power, or be of a seismic fast rhythm compatible with the stubborn defiant situation; Then the full ability of the Almighty God appears in formation, creation, and punishment.

المقدمة

اكتنزت الآيات الربانية القرآنية بجملة من العناصر اللغوية الجمالية و الحجاجية سواء أكانت لفظية أم تركيبية أم إيقاعية، اجتمعت مع بعضها في بوتقة واحدة ؛ لتحقق لهذا الكتاب التفرد و الإعجاز، ومن هذه العناصر التي أضفت بعداً جمالياً إيقاعياً ثم ابحرت في منازل الحجاج عنصر الفاصلة القرآنية، حيث ترد الفاصلة التي كثر استعمالها في نهاية الآيات القرآنية و لاسيما آيات السنن الكونية، و حقق في مضانه الجمال الموسيقي الذي تشرب بالإقناع المتولد عن طريق المحاجة، و لما يتبع به هذا العنصر من أهمية فقد كان هو المدار؛ لهذا البحث المسوم (الفاصلة القرآنية في آيات السنن الكونية دراسة حجاجية) الذي حاول الباحثان فيه أن يحددا مصطلحها، و من ثم ايجاد مواضع ورودها في آيات السنن الكونية و معرفة الدور الذي لعبته؛ لتحقيق الحجاج وكل هذا يتحصل عن طريق متابعة أثرها في تلك الآيات وما قدمته من آثار حجاجية انسابت مع جمالها الصوتي.

وتبعاً لمقتضيات الموضوع فقد جاء هذا البحث على مبحثين ، اهتم الأول بدراسة الفاصلة، حدها، و أهميتها، جاء المبحث الثاني لدراسة الفاصلة في القرآن الكريم دراسة تطبيقية، ثم الخاتمة بينا فيها اهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة و منها: حققت الفاصلة القرآنية عند ورودها تنوعًا صوتيًا خلابًا يتوافق مع الغرض الذي تنشده الآية فمرة تتسم بالهدوء واللين من أجل جعل المتلقي متشرباً فيها متعقلاً مفكرًا بالصورة الكونية الكبيرة التي رسمت أمامه فينشئ متعجبًا مؤمنًا؛ بالقدرة الربانية العظيمة التي كونت كل شيء و أخرى ذات إيقاع سريع مزلزل متوافق مع الموقف متحديًا المعاند و المجانين للصواب فتظهر جبروت الله و قدرته التامة في التكوين و الإنشاء والعقاب.

والمصادر التي اعتمدت في هذا البحث هي : القرآن الكريم، و تفاسير، الدلالة المعنوية لفواصل القرآنية (دراسة في بيان القرآن الكريم و إعجازه)، وما تخصص في الدرس الصوتي.

المبحث الأول

الفاصلة، حدها، أهميتها

الفاصلة لغةً

وترد في اللغة هي ((الفاصل الحاجز بين الشيئين، فصل بينهما يفصل فصلا فانفصل و فصلت الشيء فانفصل أي قطعته فانقطع، و الفاصلة : الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النظام، و الفصل : القضاء بين الحق و الباطل))[1]

الفاصلة اصطلاحًا

تعد الفاصلة عنصراً من عناصر التنوع الصوتي في النص القرآني، وهي ذات قيمة صوتية و لها وظيفة دلالية؛ لما لها من بعد وعمق، فهي أحد الأساليب القرآنية الموظفة للصوت المفرد داخل الكلمة لخدمة المعنى

المقصود[2] و لتحقق معنى محاجا ذا أثرٍ جمالي وتعرف الفاصلة القرآنية بأنها((تلك النهاية التي تذيل الآيات القرآنية))[3]، ويعرفها بعضهم بأنها ((حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني، ويقصد أن الفواصل تابعة للمعاني لها و هو قلب ما توجبه الكلمة في الدلالة))[4]، فهي ((لم تأتِ لغرض لفظي فحسب، وهو اتفاق رؤوس الآي بعضها مع بعض، وهو ما يعبرون عنه بمراعاة الفاصلة، إنما جاءت الفاصلة في كتاب الله لغرض معنوي يحتمه السياق، و تقتضيه الحكمة))[5] و يقول عنها الرافعي ((ما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن إلا صور تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى هي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقا عجيبا يلائم نوع الصوت والوجه الذي يساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب))[6].

وتكون قيمتها ((في بلاغة النظم القرآني، و حلاوة إيقاعه حقيقة لا تقبل المراء، و ما كان للقرآن أن يحافظ عليها، ويختارها بعناية متمكّنة في موضعها مستقرة في نسقها لو لم يكن لها شأن كبير في بلاغته، وتحقيق أهدافه))[7] وتعد الفاصلة ((في القرآن الكريم ركناً أساسياً في تكوين بنيته الإيقاعية و لها دورها الإيقاعي في نهاية الآي هذا الإيقاع المتعدد الأبعاد، الذي يبدأ من تشاكل الأصوات وتجانسها تماثلاً أو تقارباً ثم يهدف إلى أحداث تأثير في السامع))[8]، وتعد أيضاً ((إيقاعاً متشابهاً تنسجم به الآيات دونه تحديد لها فيما إذا كانت حرفاً أو مقطعاً صوتياً أو جملة))[9].

وللفاصلة القرآنية وظائف متعددة: منها أنها تعمل على تحسين الكلام وتذوقه وإدراك كمال المعنى أو قارب على الانتهاء حيث يحسن السكوت عليها، وتعبيراً عن الراحة النفسية التي يشعر بها القارئ، وهي تدل على انتهاء الآية، وتميز بينها وبين التي تليها، كما تفعله قافية الشعر حيث تميز بيتاً من بيت، فضلاً عن اختصاصها بدقة النظم وجمال التلاوة. وتعمل الفاصلة القرآنية أنغاماً ذات إيقاع جميل، وهذا الجمال الإيقاعي لا يخفى على أحد[10] وكذلك تعمل على تمكين القارئ من الوقوف عليها دون خلل في القراءة و لا نفور لأسماع الجمهور، وعن طريقها يكون الانسجام والاتساق في السور القرآنية ؛ بسبب ما تحمله من شحنتين في آن واحد شحنة مستمدة من معنى المتمم الآية القرآنية ، والأخرى من الاثر الموسيقي لها [11]، و للفاصلة القرآنية دورٌ كبيرٌ في النص القرآني عن طريق أثرها في الإعجاز القرآني؛ وهذا بسبب تنوع وظائفها إذ لو حذفت من النص القرآني لأختل معنى الآية [12]، كما أنها تضيف على النص أجواءً موسيقية، وتجذب السامع إليها، وبهذا جعل لها قدرة على إقناع المقابل بالنص القرآني و بلاغته وصدق ما جاء به، ودليل على ما تعمله عند تسلح الكثير من المشركين ضدها؛ فاستطاعت التغلب عليهم بواسطة اشتراكها مع عناصر موسيقية أخرى موجودة في النص القرآني، تكون متجهزه بصورة تامة الأجزاء [13].

ويتحدث عنها سيد قطب قائلاً ((هذه الفواصل متساوية في الوزن تقريبا على نظام غير نظام الشعر العربي _ متحدة في حروف التقفية تماما، ذات إيقاع، وموسيقى متحد تبعاً لهذا و ذلك، وتبعا لأمر آخر لا يظهر ظهور الوزن والقافية؛ لأنه ينبعث من تألف حروف في الكلمات، وتناسق الكلمات في الجمل، ومرده إلى الحس الداخلي والإدراك الموسيقي الذي يفرق بين إيقاع موسيقي، وإيقاع، ولو تحدت الفواصل والأوزان والإيقاع الموسيقى هنا متوسط الزمن تبعا لتوسط الجملة الموسيقية في الطول، متحد تبعا لتوحد الأسلوب الموسيقي، مسترسل الروي

كجو الحديث الذي يشبه تسلسل القصصي هذا كله ملحوظ وفي بعض الفواصل يبدو جلياً مثل { أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى (19) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى (20) }[14] فلو أنك قلت : أفريتم اللات والعزى ومناة الثلاثة لاختلت النهاية، ولتأثير الإيقاع ولو قلت : أفريتم اللات والعزى، ومناة فالوزن يختل وكذلك في قوله تعالى { أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى (21) }[15] ؟ تلك إذن _ { تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى (22)}[16]، فلو قلت : ألكم الذكر وله الانثى ؟ تلك قسمة ضيزى لاختل الإيقاع المستقيم بكلمة (إذن) ولا يعني هذا أن الكلمة (الأخرى) أو كلمة (الثالثة) أو كلمة (إذن) زائدة لمجرد القافية أو الوزن فهي ضرورية في السياق لنكت معنوية خاصة وتلك ميزة فنية أخرى : أن تأتي اللفظة لتؤدي معنى في السياق، وتؤدي تناسباً في الإيقاع، دون أن يعطي هذا على ذاك أو يخضع النظم للضرورات. وملاحظة اتزان الإيقاع في الآيات والفواصل تبدو واضحة في كل موضع على نحو ما ذكرنا أو قريبا من هذه الدقة الكبرى.ودليل ذلك أن يعدل في التعبير عن الصورة القياسية للكلمة إلى صورة خاصة ؛ أو أن يبنى النسق على نحو يختل إذا قدمت أو أخرت فيه. أو عدلت في النظم اي تعديل))[17]، وقد وجدت كثير من الفواصل القرآنية في آيات السنن الكونية لإقناع المتلقي بما تطرحه من موضوعات متعددة.

الفرق بين الفاصلة و السجع

يتداخل في العرف الاكاديمي كثيرا السجع والفاصلة ويحدث خلط كبير بينهما حتى يكاد الفارق ان يذوب عندما يحدا من قبل الباحثين ولكن الفارق بين الفاصلة والسجع:

فالفاصلة هي المفردة التي يحسن السكوت عندها التي تدلنا على انتهاء معنى الجملة، وكذلك تمنحنا فرصة الوقوف لإراحة النفس عند القراءة ؛ لأنها تفصل بين معنيين إما فصلاً تاما أو غير تام[18]

والفرق الثاني بينهما هو ((السجع هو الذي يقصد في نفسه ثم يحيل المعنى عليه، و الفواصل هي تتبع المعاني، ولا تكون مقصودة في نفسها))[19]

والفرق الثالث انمازت الفاصلة عن السجع بالعمومية ؛ فهي تأتي مسجوعة و غير مسجوعة، فالفاصلة تورد في السور القصار و الطوال، بينما السجع يرد في السور القصار فقط[20]

والفرق الرابع أن الفاصلة تمتاز عن السجع ترد متحركة أو ساكنة، بينما السجع يرد مبنياً على سكون الاعجاز[21]

و الفرق الأخير هو ((الفاصلة وجه من وجوه الإعجاز البياني للقرآن و هذا ما يميز بينه و بين السجع)) [22]

المبحث الثاني

الفاصلة الحجاجية في القرآن الكريم دراسة تطبيقية

ترد الفاصلة القرآنية الحجاجية في آيات السنن الكونية في قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (3) وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ(4) ﴾[23] جاءت الفاصلتان بصوت النون و هو من الأصوات اللثوية،وعند النطق به يحدث ذبذبة في الوترين الصوتين ويولد صفة الجهر[24]، فالفاصلتان في ((يَتَفَكَّرُونَ)) و((يَعْقِلُونَ))، ولدتا إيقاعاً صوتياً جعل مكونات النص مترابطة، وقد أدى هذا الترابط إلى معرفة المعنى المطلوب في الآية، وهو التفكر والتعقل في بينات الله والإيمان بقدرته وأن جو الآية هو اللين و الهدوء ففي الفاصلة القرآنية الأولى ((يَتَفَكَّرُونَ)) دعوة إلى تفكر بقدرة الله المبدعة، و لكثرة مشاهد الظواهر الكونية الحسية في هذه الآية المباركة ؛ نراها خُتمت بما يدعو إلى التفكر وهو أمر يتناسب مع الحالة الحسية أما في الفاصلة الأخرى ((يَعْقِلُونَ)) قد عملت على ما يثير العقول وينبه الأذهان وختمت بما يناسب ذلك[25] وأن النص القرآني هذا يتحدث عن ظاهرة إبداعية حتى يعقب بعد ذلك بعرض الظواهر الكونية التي تكون مرتبطة بالفكرة الرئيسية التي يحوم حولها النص القرآني ؛ وهي تشكيك الناس بالحق الذي أنزله الله تعالى وقد استعمل في هذا النص أدوات فنية في صياغته، ووظف عناصر لفظية و إيقاعية وصورية متنوعة في هذا الصعيد، لكي يوضح للشاك و يقنعه بما طرح، والوصول إلى المعنى المراد[26].

وتتألف هاتان الفاصلتان من إيقاع واحد، وتأخذان نفساً واحداً، وجواً واحداً وتفعم النفس، وتزحم الحس بالصور والظلال والمشاهدة والخوالج التي تأخذ النفس من أقطارها جميعاً، فاذا هي مهرجان من المشاعر، والصور، والإيقاعات والاشراقات ؛ التي تجعل القلب يرتاد آفاقاً واكواناً وعوالم وأزماناً، وهو مستيقظ، مبصر، شاعر بما يموج حوله من المشاهدات والموحيات، أنها ليست ألفاظاً وعبارات ؛ إنما هي مطارق وإيقاعات صورت مشاهدها وظلالها وموسيقاها ولمساتها الوجدانية التي تكمن فيها وأن موضوعها الرئيس هو العقيدة وقضياها ومنها التوحيد الألوهية والربوبية، وتوحيد الدنيوية لله وحده لا شريك له في الدنيا والآخرة جميعاً، وقضية البعث هي تناول عرض موضوعها بعرض مؤثرات وموحيات ذات إيقاع جديد وإيحاء جديد وهذا عرضاً لم يكن جدلياً بارداً ؛أنما تعرض حولها إطاراً هو عجائب هذا الكون كله و ما فيه من براهين، هذه القضايا وآياتها في الإدراك البشري البصري المفتوح ومنها الأرض الممدودة وما فيها من رواسي وأنهار جارية، وجنات وزرع ونخيل مختلف الأشكال والطعم والألوان، وينبت فيها قطع متجاورات وتسقى بماء واحد[27] و ((بسطها وسعها ((رَوَاسِيَ)) جبالاً ثوابت ((يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ)) يلبس ظلمة الليل وضياء النهار ((قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ)) أي متقاربات ومنها السهل ومنها سبخة ومنها صلب مع اشتراكها في الأرضية ((وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ)) جمع صنو وهي النخلات يجمعها أصل واحد))[28]

وأن الله سبحانه وتعالى قد حاججهم بأنه عرض عليهم نصاً قرآنيا ذا ظواهر كونية لكي يقنعهم بقدرته على البعث من جديد بأسلوب هادئ ولين، وبوساطة فاصلة قرآنية ذات إيقاع موحد؛ وهذا الإيقاع يعمل على أخذ نفس واحد، وبجعل النفس ذات حس عنده مشاهدة صور وظلال هذه الظواهر، وتكون هذه الفواصل بمثابة مطارق وإيقاعات تجعل القلب مبصراً وشاعراً بما حوله من مشاهدات وإيحاءات، وجرسها الموسيقي يلمس الوجدان، وفي النهاية فهي تثبت سيطرتها بالكامل على النفس البشرية وجدانياً ونفسياً وعقلياً بإقناعه بما تريد منه وهو الإيمان بقدرة الله في البعث من جديد.

وترد الفاصلة الحجاجية أيضاً في قوله تعالى﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (77) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78) ﴾[29] إذ كلمة ((مُبِينٌ)) و ((رَمِيمٌ)) كفاصلتين في هاتين الآيتين وقد اتفقتا في الإيقاع الصوتي، فصوت النون في ((مُبِينٌ)) هو من الأصوات اللثوية المجهورة التي يكون لها وقع في السمع، أما صوت الميم في ((رَمِيمٌ)) فهو من الأصوات الشفوية المجهورة، وأن الجو العام للنص القرآني ينتابه الهدوء بسبب الفاصلة التي تعطي الدعم الصوتي الذي يعد وسيلة قوية لإقناع السامع، وعملت على الاستقرار السمعي لديه، وساعدت على سرعة إدراك الأخبار ونلاحظ في هذا الخطاب القرآني ((قصر الفواصل مع سرعة الإيقاع يطبع النص بطبع خاص فتتلاحق إيقاعاتها، وتدق على الحس دقات متوالية، يعمل على مضاعفة أثر ما تحمله معها من الصور والظلال التي تخلعها المشاهدة و المتابعة للنص القرآني. وهي موحية ومتنوعة وعميقة الآثار))[30] فعملت هذه الفاصلة على إقناع المتلقي بقضية البعث والنشور من جديد إذ تكون مصحوبة بمؤثرات مناسبة لجوها ومتناسقة مع إيقاعها وصورها ومن هذه المؤثرات أو المشاهدات الكونية مشهدي النطفة ثم مشهد الإنسان وهو خصيم مبين[31].

ويستعرض في هذا النص مشاهد مفصلة ذات مؤثرات قوية في إيقاعاتها العميقة وتكون متجهة إلى إظهار القدرة التي تفعل كل شيء في هذا الكون وتمسك بمقاليد الأمور كلها، ومن هذه القدرة خلق الأنسان من نطفة وإحياء رميم العظام بعد موتها كما أنشأها أول مرة[32]، ويقول فيه أن الأنسان الذي ينكر يوم النشور نسي إنا خلقناه من نطفة حقيرة مهينة ضعيفة على الرغم من ذلك يكون بيّن الخصومة، وهو لم يستدل على هذا و أنكر البعث مع انه قد خلق من هذه النطفة فأليس الله بقادر على إعادته بعد موته ؟ وضرب مثلاً هذا الانسان الناكر ليوم البعث الذي نفى عظمة وقدره الله على أن يعيده مرةً أخرى من جديد، فهل نسي خلقه من مني فهو أغرب من إحياء العظم والرميم أسم لما يلي من العظام أي أنه استبعد إعادة الله له وهو ذو القدرة التي خلق بها السموات والأرض، والاجساد والعظام الرميمة، ونسي نفسه، و أنه تبارك وتعالى قد خلقه من العدم إلى الوجود و يقول سبحانه وتعالى ((قل يحييها الذي أنشأها)) أي الذي خلقها أول مرة وهو عليم لا يخفى عليه شيء ومنها أجزاء الحي بعد موته وإن تفرق في البر والبحر قادر على أن يجمعها ويعيدها، فهو تبارك وتعالى يعلم بسائر العظام في أرجاء الأرض وأين ذهبت وتفرقت وتمزقت[33].

((هذا النص كله إيقاظ للوجدان والأحاسيس وتحريك للمشاعر، وفتح نفاذ القلوب لكي يتبادر بالإقرار بالخالق وتوحيده والإيمان بالبعث والجزاء))[34]، و ((ألم يعلم كل أنسان أننّا بدأنا خلقه من نطفة (مني) من ماء مهين وهي أضعف الأشياء ثم جعلناه بشراً سوياً وثم يفاجئنا بأنه ناطق مجادل جريء في جداله فقوله ((خَصِيمٌ)) ناطق و((مُبِينٌ)) إشارة إلى قوة عقله والمراد من أنكر البعث ألم يستدل بالبدء على الإعادة فإن الله ابتدأ خلق الأنسان من سلالة من ماء مهين فخلقه من شيء ضعيف حقير فشأن هذا المخلوق أن يشكر الله على هذه النعمة،لا أن يطغى ويتجبر وينكر البعث والإعادة ((ضَرَبَ)) أي ذاكراً أمراً عجيباً كالمثل في الغرابة على استبعاد إعادة الله ذي القدرة العظيمة للأجساد والعظام الرميمة ونسي نفسه، وأن الله تعالى خلقه من العدم إلى الوجود، فأنكر أن الله يحي العظام البالية قائساً قدرة الله على قدرة العبد حيث لم يكن ذلك في مقدور البشر))[35]. قد وظف سبحانه وتعالى الفاصلة لإقناع المتلقي بقضية البعث والنشور وابراز قدرة الله التي تعمل كل شيء في هذا الكون، وتمسك بمقاليد الأمور ؛ ومنها خلق الأنسان من نطفة وإحياء العظام بعد موتها كما أحيائها أول مرة، وهذا كله أتى بأسلوب هادئ وإيقاع سريع،وفواصل قصيرة وهذه الأمور كلها أثرت في وجدان ، وعقلية، ومشاعر المتلقي من أجل الإيمان بالله وبقدرته، والانتقال في المتلقي من مكان إلى مكان أخر عن طريق الصور وظلالها، وما تحمله من مشاهدة تكون موحية .

وترد الفاصلة القرآنية في سورة التكوير في قوله تعالى ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (15) الْجَوَارِي الْكُنَّسِ (16) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (17) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (18) ﴾[36]

ويقسم الله سبحانه وتعالى بعناصر كونية لإقناع المتلقي بحقيقة الوحي و الرسالة عن طريق هذه العناصر، التي يشاهدها الناس مثل النجوم، التي تظهر في الليل، وتمحى في النهار وأما الليل إذا أقبل في ظلامه وتمدد في الآفاق و يأتي بعده الصباح كما أعتاد عليه الناس وقد أختار التعبير القرآني هذه الظواهر؛ لأن لها فواصل تنتهي بصوت السين وهو صوت رخو مهموس مرقق، يكون مناسباً لسكون الليل وهدوئه وأيضاً تسكن فيه الحياة، وتختفي الأصوات والضجيج، وبذلك تتحول الحياة إلى همس خفي، وهذا كله من أجل التناسب مع الصوت المهموس الرقيق، كما أن محو النجوم بالنهار، و بروزها بهدوء في الليل يناسب أيضاً صوت السين، وانفلات الصبح من عتمة الليل يكون بهدوء ورفق، يتلأم أيضاً مع صوت السين، فكأن الليل يخنق الدنيا بظلامه فلا يسري عنها إلا بتنفس الصبح وهكذا تسير الحياة مع سريان النفس في السين فتجد الدنيا في استراحة مع الصبح وانبعث من جديد، أي كانت في الليل كأنها ميتة[37].

وأن الخنس و هي الكواكب السبعة الشمس والقمر، وزحل والمريخ، وعطارد، وهناك قول للإمام علي (ع) يقول عنها خمسة ما عدى الشمس والقمر حيث تجري الخمسة من الشمس والقمر حتى ترجع وتختفي بضوء الشمس وقيل النجوم كلها لأنها تخنس في الليل وتكنس في النهار أي تختفي، وقيل أيضاً تطلع في أماكنها كالوحوش في كنسها، وقيل عنها بقر الوحوش؛ لأنها تفعل هذه الأفعال في كنائسها، و((عَسْعَسَ)) أي أقبل بظلامه ويرجح مقابلة ((وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ)) فهما حالتان أقسم بإقباله وإدباره وتنفس كونه يجيء معه روح ونسيم[38] و ((فيها

ثروة من المشاهدات الرائعة سواء في هذا الكون الرائع الذي نراه، أو في ذلك اليوم الآخر الذي ينقلب فيه الكون بكل ما نعهده فيه من أوضاع وثروة وكذلك من التعبيرات الأنيقة : المنتقاة لتلوين المشاهد والإيقاعات وتلتقي هذه وتلك في حيز ضيق، فتضغط على الحس وتنفذ إليه بقوة و إيحاء))[39] وفي هذا النص القرآني تنتهي فواصله جميعها بصوت السين، الذي يكون رقيقاً ينساب إلى الآذن بسلاسة وسهولة ويسبب لها صفيراً استعمل في الفاصلة لإقناع الشاك بالرسالة والوحي، وأنهما من الله سبحانه وتعالى ومن آجل إقناعه بهذا أقسم له بمشاهدات طبيعية اعتاد على رؤيتها كل يوم، وأن هذه المشاهدات كلها من الله وكذلك الرسالة والوحي من أيضاً.انها اشارة حجاجية واضحة لقدرة الله تبارك و تعالى في تسير شؤون خلقه و جعلهم متنعمين في ملكوته و رحمته و هداياه الكثيرة التي لا تعد و لا تحص انه اقناع للمتلقي بالعظمة الربانية لعلّه يعود إلى الصواب.

وترد الفاصلة القرآنية في قوله تعالى ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً (17) يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً (18) وَفُتِحَتْ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً (19) وَسُيِّرَتْ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً (20) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً (21) لِلْطَّاغِينَ مَآباً (22) لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً (23) لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلا شَرَاباً (24) إِلاَّ حَمِيماً وَغَسَّاقاً(25) جَزَاءً وِفَاقاً (26) إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَاباً (27) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً (28) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً (29) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَاباً (30) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً (31) حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً (32) وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً (33) وَكَأْساً دِهَاقاً (34) لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلا كِذَّاباً (35) جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَاباً (36) رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً (37) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفّاً لا يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً (38) ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآباً (39) إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً (40) ﴾[40] و جاءت في هذا النص القرآني فاصلة الباء وهي الأغلب لما يناسب مع ما تحمله السورة من موضوعات عن يوم القيامة وصوت الباء هو صوت شفوي مجهور شديد قوي، وأن سبب الشدة أنه لا يوم أشد من يوم القيامة، وقد عبر عنه التعبير القرآني بكل الأصوات كالصاخة والطامّة وغيرها، وأما من ناحية الجهر فهو يوم مشهور لدى الخلائق، وقد تحدث عنه الأنبياء وحذرت أقوامها منه؛ أن فيه دلالة الوضوح والاشتهار، ويدل الجهر و الشدة على ثقل وزن هذا اليوم إذ يساوي ثقل السموات والأرض، وأن سبب اختيار فاصلة الباء لقربها من مخرج الفم وسهولة نطقها، وهذا يشير لقرب يوم القيامة الذي يكون للناس بعيداً، والسهولة فيه تشير إلى سهولة إعادة الناس وبعثهم وأن ذلك هين على خالقهم[41].

و((يوم الفصل وإن تكرارها يكون بقصد وتكون ذات طرقات عنيفة قوية عالية بإيقاع واحد ونذير واحد ومن الحقائق والمشاهد والصور والإيقاعات يعود بهم إلى ذلك النبأ العظيم الذين هم فيه مختلفون والذي هددهم به يوم يعلمون ! ليقول لهم ما هو ؟ وكيف يكون ((إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً)) يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا.((وَفُتِحَتْ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً)) و((وَسُيِّرَتْ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً)) ثم مشهد العذاب بكل قوته وعنفه ((إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً (21) لِلْطَّاغِينَ مَآباً (22) لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً (23)))... ومشهد النعيم صوت يتدفق تدفق

((إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً (31) حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً (32) وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً (33) وَكَأْساً دِهَاقاً (34) لا يَسْمَعُونَ فِيهَا...)) ويختم السورة بإيقاع جليل في حقيقته وفي المشهد الذي يعرض فيه بإنذار و تذكير قيل أن يجيء اليوم الذي يكون فيه هذا المشهد ((إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا))[42] و بعد أن وضح تبارك وتعالى لهم الدلائل الباهرة ألزم عليهم أمر يوم البعث حتى لا يجدوا سبيلاً لكي يتهربوا منه، وبعد ذلك هددهم أشد تهديد بأن الساعة آتية لا محالة و فيها قضاء بين الحق والباطل والحساب والجزاء ((إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً)) هذا اليوم يكون مؤقت بأجل معلوم عند الله لبعث الأولين والآخرين و لا يزيد عليه يوم ولا ينقص عنه، ((يَوْمَ يُنفَخُ)) و فيه توضيح كيف يكون يوم القيامة و ما يحدث فيه من أهوال وقوله ((يَوْمَ يُنفَخُ)) بدلاً من يوم الفصل أو عطف بيان مفيد لزيادة تهويله وتفخيمه بمعنى أن يوم الفصل هو يوم النفخ في الصور الذي يحدث فيه ما يحدث وهو يقصد بالنفخة الثانية لإسرافيل (ع) وعلينا أن نؤمن بهذا اليوم وليس علينا أن نعلم حقيقة هذا الصور ((فَتَأْتُونَ)) أي بعثكم من قبوركم فتأتون إلى الموقف وأيضاً ((وَفُتِحَتْ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً)) أي تكون على نحو شقوق اتخذتها الملائكة طرقاً ومسالك نزولهم وإذا تشققت حدث الاضطراب في نظامها وذهب تماسكها فهي تكون كالأبواب إذ تكون الجبال بهذا اليوم متفتته بعد اقتلاعها من مقرها وسيرت في الجو على هيئاتها و بعد ذلك يأتي مصير المكذبين، وبيان ما يلاقوه من عذاب جهنم التي تكون دار إقامتهم لا يخرجون منها أبداً، وتكون موضعاً للترصد والترقب، وترصد فيه خزنة النار الكافرين ليعذبهم وترصد للمؤمنين ليحرسوهم من قبحها في مجازهم عليها.

وقوله تعالى: ((لا يَذُوقُونَ)) لا يذوقون في جهنم شيئاً من برد و المقصود به النسيم، الذي يريحهم و ينفس عنهم نار جهنم، و لا يذوقون شراباً يروي غليلهم ويسكن عطشهم ((إِلاَّ حَمِيماً وَغَسَّاقاً)) يتجرعون الماء الحار البالغ الحرارة وغساقاً هو ما يسيل عن جلود عرقا أو دموعاً وهذا جزاء ما صاروا إليه من العذاب وفقاً لإعمالهم السيئة في الدنيا وهذا استحقاقهم لأنهم كانوا لا يخافون أن يحاسبوا على أعمالهم التي اقترفوها وكل هذا أنهم كذبوا بآيات الله الدالة على يوم البعث، التي انزلها على رسله، وأن كل أعمالهم بجملتها حفظناها و ضبطناها بإحصائنا لها إحصاءً تاما بجعلها ((كِتَاباً)) مصدراً مؤكداً لأحصينا وذلك بسبب الكتابة والاحصاء و يشاركان في معنى الضبط ويحدث بسبب كذبهم وكفرهم بالحساب والجزاء و تكذيبهم لآيات زيادة في عذابهم وحيث يكون هذا العذاب مزيداً يوماً فيوماً))[43].

وقوله تعالى ((إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً)) أن جزاء المتقين نجاتهم من العذاب ودارهم الجنة التي يوجد فيها حدائق مثمرة وأعناباً طيبة وعذارى متماثلات في السن وأيضاً فيها كأساً ممتلئة صافية وكذلك لا يسمعون فيها كذباً ولا لغواً من القول، وهذا كله جزاءً عظيماً من فضل الله واحساناً كافياً، وحيث لا يمكن لأي أحد أن يحق له مخاطبة الله سبحانه وتعالى رب السموات والأرض وما بينهما، يكون يوم القيامة أن كل من الملائكة وجبريل لا يتكلمون إلا بأذن من الله سبحانه وتعالى ويكون الكلام بالصواب، وذلك اليوم لا شك فيه، فمن شاء اتخذ إلى الله مرجعاً عن طريق الإيمان والعمل الصالح، و من يفكر أن يعمل عكس هذا قد حذرناه من عذاب قريب وقوعه، وعندما

ينظر المرء إلى نفسه و ما قدمت يداه من عمل يقول الكافر يا ليتني بقيت تراباً فلم أبعث ولم أحاسب متمنيا ذلك[44]

إننا امام صورة و مشهد واقعي متحرك متعدد الانماط فكل شيء قد رسم المحاكمة قد اعدت وجلبة حكم سوف يصدر أمام الملأ كلً يأخذ ما جنى و كل يستوفي ما عمل و الفاصلة جاءت كمطارق مؤكدة ان ما قيل سيحدث وعلى العبد ان يرعوي و أن يساير الصواب فالقيامة آتية لا يأس فيها ولا جدال.

الخاتمة

حققت الفاصلة القرآنية عند ورودها تنوعًا صوتيًا خلاًبا يتوافق مع الغرض الذي تنشده الآية فمرة تتسم بالهدوء و اللين من أجل جعل المتلقي متشربًا فيها متعقلاً مفكرًا بالصورة الكونية الكبيرة، التي رسمت أمامه فينشئ متعجبًا مؤمنًا بالقدرة الربانية العظيمة التي كونت كل شيء و أخرى ذات إيقاع سريع مزلزل متوافق مع الموقف متحديًا المعاند و المجانين للصواب، فتظهر جبروت الله و قدرته التامة في التكوين و الأنشاء و العقاب.

الهوامش :

(1) لسان العرب : 11 / 521
(2) ينظر : الدلالة الصوتية للفاصلة القرآنية : 68.
(3) مباحث في علوم القرآن : 209
(4) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن : 97.
(5) إعجاز القرآن الكريم : 202.
(6) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : 245
(7) التناسب البياني في القرآن(دراسة في النظم المعنوي و الصوتي) : 352.
(8) الدلالة الصوتية للفاصلة القرآنية : 20 _ 21.
(9) في ظلال القرآن : 1/ 547.
(10) ينظر : الدلالة المعنوية لفواصل القرآنية (دراسة في بيان القرآن الكريم وإعجازه) : 70.
(11) ينظر : التعبير الفني في القرآن : 209.
(12) ينظر : الفاصلة في السياق القرآني سورة مريم نموذجاً : 5.
(13) ينظر : الدلالة المعنوية لفواصل القرآنية (دراسة في بيان القرآن الكريم و إعجازه) : 140
(14) النجم : 19 _ 20.
(15) النجم : 21.
(16) النجم : 22.
(17) التصوير الفني في القرآن الكريم : 87 _ 88.
(18) ينظر: البديع تأصيل و تجديد : 41.
(19) البرهان في علوم القرآن : 1 / 54.

(20) ينظر : البديع تأصيل و تجديد : 41.
(21) ينظر : الفاصلة في القرآن : 140.
(22) الفاصلة القرآنية و جماليتها في سورتي طه و الرحمن : 106.
(23) الرعد 3 – 4.
(24) ينظر : دراسة الصوت اللغوي : 325.
(25) ينظر : الدلالة المعنوية لفواصل القرآنية (دراسة في بيان القرآن الكريم و إعجازه) : 156.
(26) ينظر : التفسير البنائي للقرآن الكريم : 2 / 383 –384.
(27) ينظر : في ظلال القرآن : 4 /2039 _2040.
(28) تفسير المعين للواعظين والمتعظين : 249.
(29) يس : 77 _ 78.
(30) في ظلال القرآن : 5 / 2956.
(31) ينظر : م. ن : 5 / 2956 _ 2957.
(32) ينظر : في ظلال القرآن : 5 / 2974.
(33) ينظر : الأساس في تفسير: 8 / 504 _505.
(34) تفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج : 11 / 631.
(35) م. ن : 12 / 62
(36) التكوير : 15 – 16
(37) ينظر : طلائع البشر في توجيه القراءات العشر : 189.
(38) ينظر : تفسير البحر المحيط : 8 / 425.
(39) الأساس في تفسير القرآن : 11 / 6389 _ 6390.
(40) النبأ : 17 – 40.
(41) ينظر : مبادئ اللسانيات : 111.
(42) في ظلال القرآن : 6 / 3800 _3802 _3803.
(43) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم :10 / 1749 –1750 –1751 –1752 –1753 –1775. (44) ينظر : المنتخب في تفسير القرآن الكريم : 879 _ 880.

المصادر و المراجع

القرآن الكريم.
* الأساس في تفسير القرآن، سعيد حوّى، دار السلام للطباعة و النشر و التوزيع و الترجمة، ط1، 1405 ه _ 1980 م.
* إعجاز القرآن الكريم، إعجاز القرآن الكريم، فضل حسن عباس، مكتبة عمان، 1412 هـ 1991 م
* إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي، المكتبة الكبرى مصر، ط7، 1381 هـ _ 1961 م.
* البديع تأصيل و تجديد، منير سلطان، دار المعارف، الاسكندرية، 1986م.
* البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة.

*التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة – مصر ط17، 1425 هـ – 2004 م.
* تفسير البحر المحيط ، ابي حيان الأندلسي (ت 745 هـ)، تح، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود الشيخ علي محمد معوض، د. زكريا عبد المجيد النوتي، د. أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط 1 1413 هـ _ 1993 م.
* التعبير الفني في القرآن، بكري شيخ آمين، دار العلم للملايين، بيروت ط7، 2004 م.
* التفسير البنائي للقرآن الكريم ، د. محمود البستاني، مركز تحقيقات كامبيوتري علوم إسلامي مؤسسة الطبع التابعة للآستانة الرضوية المقدسة– مشهد، ط1 د. ت.
* تفسير المعين للواعظين والمتعظين، محمد هويدي، دار البلاغة للطباعة و النشر و التوزيع.
* التناسب البياني في القرآن(دراسة في النظم المعنوي و الصوتي)، أحمد أبو زيد، كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، دار البيضاء، 1992
* تفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنه ، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر افاق معرفية جديدة.
* التفسير الوسيط للقرآن الكريم، تأليف لجنة من العلماء، بإشراف : مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر مطبعة المصحف الشريف، ط3، 1413 هـ – 1992 م.
* ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، الرماني، و الخطابي، عبد القاهر الجرجاني، تح محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول، دار المعارف، مصر ط3، د.ت.
* دراسة الصوت اللغوي دراسة الصوت اللغوي، أحمد عمر مختار، عالم الكتب، القاهرة، د. ط 1418 ه – 1997 م.
* الدلالة الصوتية للفاصلة القرآنية (اطروحة)، فطيمة بورحله، جامعة جيلالي ليابس – سيدي بلعباس – كلية الآداب و اللغات و الفنون، 1438 هـ – 2017م.
* الدلالة المعنوية لفواصل القرآنية (دراسة في بيان القرآن الكريم وإعجازه) د. جمال محمود أبو حسان، دار الفتح للدراسات و النشر، الأردن، ط1 1431 ه، 2010 م.
* طلائع البشر في توجيه القراءات العشر طلائع البشر في توجيه القراءات العشر، محمد الصادق قمحاوي، دار العقيدة،ط 1، 1427 هـ – 2006 م.
* الفاصلة في السياق القرآني سورة مريم نموذجا((بحث منشور))، محمد حسين النقيب، اليمن.
* الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي، دار عمار، عمان، ط3، 1421 هـ –2000 م
* الفاصلة القرآنية و جماليتها في سورتي طه و الرحمن (رسالة)، بن يمينة جميلة، كلية الآداب، 2012 – 2013 م.
* في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1972 م ط2، 1423 ه – 2003 م
* لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت،ط3، 1414ه - 1986 م.
* مباحث في علوم القرآن، منّاع القطان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط7، د.ت.
* مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، دار الفكر، سوريا، دار الفكر المعاصر بيروت، ط2، 1419 ه – 1999م.

* المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ألفه لجنة من علماء جامعة الأزهر الشريف طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مؤسسة الأهرام، مصر.